إني ممسك بحجزكم عن النار وتغلبوني وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب
فأوشك أن أرسل بحجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتردون علي معًا وأشتاتًا فأعرفكم بسيماكم وأسمائكم
كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل في إبله فيذهب بكم ذات الشمال فأناشد فيكم رب
العالمين أي رب أمتي فيقال يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا
يمشون القهقرى على أعقابهم فلا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي
يا محمد يا محمد فأقول لا أملك شيئًا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرًا له
رغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئًا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة
يحمل فرسًا لها حمحمة ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئًا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم
يجيء يوم القيامة يحمل سقاء من أدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئًا قد بلغت ۝
قال علي بن المديني هذا حديث حسن الإسناد إلا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه
غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي ۝ قلت بل قد روى عنه أيضًا أشعث بن إسحاق وقال
فيه يحيى بن معين صالح ووثقه النسائي وابن حبان ۝ وقوله وإن الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون أي لعادلون جائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق
إذا زاغ عنها ۝ وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عللهم وأفهمهم القرآن لما انقادوا له ولاستمروا على
كفرهم وطغيانهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون
وقال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف كان يكون
قال الضحاك عن ابن عباس كل ما فيه لو فهو مما لا يكون أبدًا ۝

ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هم فيه
مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة
قليلًا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا
تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا
ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن

وآباؤنا

وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ۝
يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على ضلالهم
وغيهم فما استكانوا أي خشعوا وما يتضرعون أي دعوا كما قال فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال ابن أبي حاتم حدثنا
علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن حمزة المروزي ثنا علي بن الحسين ثنا أبي عن يزيد يعني النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله
والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون ۝ وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبيه
به وأصل هذا الحديث في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش
حين استعصوا فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ۝ وقال ابن أبي حاتم
حدثنا علي بن الحسين ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان حدثني
وهب بن عمر بن كيسان قال حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الأبناء ألا أنشدك بيتًا من
شعر يا أبا عبد الله فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد أخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال وصام وهب ثلاثًا متواصلًا فقيل له ما
هذا الصوم يا أبا عبد الله قال أحدث لنا فأحدثنا يعني زيادة عبادة ۝ وقوله
حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم
الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير
وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده في أن جعل لهم السمع
والأبصار والأفئدة وهي العقول والفهوم التي يدركون بها ويعتبرون بما في الكون من الآيات
الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه الفاعل المختار لما يشاء ۝ وقوله قليلًا ما تشكرون
أي وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرئه لهم
في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الأولين
منهم والآخرين لميقات يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرًا ولا كبيرًا ولا ذكرًا ولا أنثى ولا جليلًا
ولا حقيرًا إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت
الأمم وله اختلاف الليل والنهار أي عن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر

Copyright © King Saud University